

كتاب المصايد والمطارد

المكتبة المملوكية سنة ١٢٦٠ هـ

للأستاذ سعيد الديوهجي



كنت في صيف السنة المنصرمة قد عنيت على مخطوط قديم في المدرسة الحسنية في الموصل ، وتحققت بعد ذلك أن هذا المخطوط هو كتاب « المصايد والمطارد » لكشاجم الشاعر . وفي ١٤ أغسطس ١٩٤٣ أطلعتني أحد الأفاضل في بغداد على مقال للدكتور الجليل إسرائيل وفنسون « أبي ذؤيب » نشره في مجلة المجمع العلمي العربي عن كتاب « المصايد والمطارد » ، وقد كتب الدكتور الجليل بأنه يوجد أن يعرف على نسخة غير نسخته فيكتتب هذه الكلمة تلبية لطلبه .

بين مخطوطات المدرسة الحسنية في الموصل مخطوط قديم ذكره الدكتور الفاضل داود الجلي في كتابه مخطوطات الموصل ص ١٢٢ تحت الرقم (٢٦) باسم « بازنامه » . حجم الكتاب ٢٣ × ١٦ سم وعدد صفحاته (١٩٠) صفحة في الصفحة الواحدة (١٧) سطراً . وهو مكتوب على ورق سميك ، ويظهر من قواعد كتابته وورقه والخبر الذي كتب به أن الكتاب

بفرح الطيبة وحزنها ، وتبين الوشائج الحية بينها وبين هذه الأم الكبيرة

عينا باستمراض قطعة هاردي في ظل قطعة « الجامعة » وقطعة « لورنس هوب » ، في ظل قطعة « شوليت » لغرض خاص ، هو بيان مدى تأثير الشعر الأوربي وارتفاعه بكتابهم المقدس ، وهو تأثير واضح في هذه القطع جميعاً . في طريقة الإحساس وفي طريقة التعبير على السواء

ونحن نجد القرآن بين أيدينا ، وهو يتبع في التعبير طريقة التصوير الحلي ، الذي يزيد مساحة المعنى النفسية ، ويحمله صورة خفية ، حتى في الأغراض الدينية البحتة

بين أيدينا هذا الكتاب المقدس يتحدث بأروع طريقة

يرجع إلى القرن السادس الهجري أو ما يقارب ذلك ، كما يظهر أن المخطوط قد تمزق على ممر السنين وأعيد تجليده مرة ثانية فأصلح غلافه وزيد في كل من أوله وآخره ثلاث أوراق بيضاء خالية من الكتابة ، وهذه الأوراق الستة تختلف عن ورق الكتاب الأصلي فهي : أقل سمكاً وأنصع بياضاً . أما الورق الأصلي فقد اكتسب سمرة تدل على قدمه وخاصة حول الأسطر الكتابية فإن السمرة تزداد . وإن المجلد قد أخطأ في ترتيب أوراق الكتاب ، فوضع الورقة ٩٠ منه بعد الورقة ٩٣ انضح لي هذا من سياق البحث . والنسخة التي بين أيدينا كثيرة الغلط والتعريف فيظهر أن الناسخ كان يجهل قواعد اللغة العربية ، فكان يمسح بعض الكلمات بدلاً من أن ينسخها . ونجد قسماً من الكلمات خالية من الإحجام ، وأعتقد أن بعض هذا كان من إهمال الناسخ ، وأن البعض الآخر كان من تأثير الرطوبة في المخطوط

الصفحة الأولى من الكتاب كلها نقوش لازوردية ومذهبة ، ولكن الرطوبة وطول الأمد وعبت الأيدي أثرت في هذه النقوش فأزالت القسم الكبير منها وشوهت الباقي . في القسم الأعلى من هذه الصفحة دائرة كبيرة ظهر لي في وسطها كتابة باللون الذهبي تأملتها طويلاً ؛ فعلمت أنها اسم الكتاب « المصايد والمطارد » . أما وسط الصفحة فأعتقد أنها خالية من الكتابة وهي مجرد نقوش . أما أسفل الصفحة ففيها كتابة يظهر أنها كانت مكتوبة

فنية في الأداء ، فلا نلتفع بها ، ورجع إلى اقتباس طرق تمييزنا إلى الشعر العربي ولا سيما في العصر العباسي ، حينما تأثر الشعر بالفلسفة والنطق ، وبرزت فيه المعاني الذهنية بروزاً واضحاً ؛ ولولا أصالة الطبع في بضعة شعراء في هذا الوقت ، لقضت الطريقة الذهنية في الأداء على الطابع الفني تمام القضاء

إنني أدعو إلى تحلي طريقة القرآن في التصوير والتظليل فهي أعلى طريقة فنية للأداء . وإذا كانت وجهة القرآن الدينية ، قد جعلت هذه الطريقة خاصة بأغراض الدعوة الإسلامية . فإن نقلها إلى عالم الأدب خليق بأن يرفع هذا الأدب إلى آفاق رفيعة ، لم نصل إليها حتى الآن . فلهوا إلى ذلك النبع الأصيل . نبع القرآن .

لخصنا من الدرا ج ما الرجل به ضا
فأطعمت وأهديت إلى المطبخ أو ساقا
وخير اللحم ما أقلقه الجارج إفلانا
وذو العادة للصيد إذا أبصره نانا
فيعدوه بما كان إليه الدهر مشتاقا
فكل منه شفاك الله مشوبا وأمرقا
فهذا الحفظ للصحة لا تدبير إسحاقا

فرجعت إلى ديوانه المطبوع في بيروت ، فوجدت هذه
الآبيات في صفحة ١٢٩ ، ١٣٠ منه

٣ - وذكر مؤلف هذا المخطوط في باب معرفة (أصناف
البراة) قال محمود مؤلف هذا الكتاب ، في ذلك شعرا :
حسي من البراة والزراق

سدى (كذا) بصيد صيد الباشق
مؤدب مهذب الخلائق أصيد من معشوقة لماشق
يسبق في السرعة كل سابق ليس له عن صيده من عائق
ربيته وكنت غير الوائق من طيمه بكرم الخلائق
إن الفرائز من البيادق

ونحن نعلم أن اسم كشاجم هو محمود ، وهذه الآبيات
من نظمه ومذكورة في ديوانه (ص ١٣٣) فلم يبق شك
في أن هذا المخطوط هو لكشاجم

المخطوط الذى بين أيدينا مشوش التيبوب . فالناسخ قد سلك
في تبويبه طريقة غريبة جداً فإنه بعد المقدمة يشمل على مائة باب
وباب واحد (٨٤) منها ذكر معها لفظ باب . فمثلاً (باب ذكر
الصيد ، باب فضائل الصيد ، الخ ...) وبعضها يذكر (لفظ باب)
فقط و (١٧) لم يذكر معها لفظ باب ، وإنما كتب العنوان
مجرداً من الباب مثلاً (معرفة أصناف البراة) أما بعد الصفحة
(١١٦) فإنه قسم الكتاب إلى أبواب رئيسية يشمل كل باب
منها أبواباً فرعية ، فأول هذه الأبواب الرئيسية هو (باب علامات
الخص وأدويته) ويشتمل هذا الباب على ثمانية أبواب فرعية ،
ثم يليه (باب الأكل) ويشتمل على باين فرعيين ، ثم يلي هذا
أدوية النفس ويشمل على ستة أبواب فرعية الخ ... وهذه الفرعية
بعضها له علاقة بالباب الرئيسى وبعضها ليس له علاقة به . ونختم

باللون الذهبى وسط نقوش لازوردية ، ولكن طمست معالم
الكتابة ، ولم يبق إلا آثار بعض الحروف فصعب قراءتها .
ولا نجد على المخطوط ذكراً للمؤلف ، فمن يأتى مؤلف هذا
المخطوط ؟ ذكر ابن النديم أن « أبا دلف القاسم بن عيسى والفتح
ابن خاقان وابن المعتز ومحمد بن عبد الله بن البازيار وأبا الفتح محمود
ابن الحسين بن شاهن المعروف بكشاجم » ألفوا في الجوارح
والصيد . ومؤلف المخطوط الذى بين أيدينا يستشهد بأبيات
لابن المعتز وبأخرى لأبي فراس الحمداني المتوفى سنة ٣٥٧ هـ .
ونحن نعلم أن أبا دلف توفى سنة ٢٥٦ هـ . والفتح بن خاقان توفى
سنة ٢٤٧ هـ . وابن المعتز توفى سنة ٢٩٦ هـ . فيكون المؤلف
قد عاش بعد هؤلاء الثلاثة . أما كشاجم وابن البازيار فإيهما
كانا معاصرين لأبي فراس ، وكانا من شعراء الدولة الحمدانية
في حلب وعاشا في ظلها ، وتوفى كشاجم سنة ٣٥٠ أو سنة
٣٦٠ هـ . وتوفى ابن البازيار سنة ٣٥٢ هـ . ولكن لدينا من
الأدلة ما تؤيد أن المخطوط هو لكشاجم وهى :

١ - اتفق الذين ترجموا لكشاجم أنه كان متضلماً من
علوم عديدة ، وكان كاتباً شاعراً وله كتاب « المصايد والمطارد »
وذكر صاحب كشف الظنون (ج ٢ : ص ٢٧٦) كتاب
« المصايد والمطارد » لأبي الفتح محمود بن الحسين المعروف
بكشاجم المتوفى سنة ٣٥٠ هـ . كما ذكر جرجى زيدان في كتابه
تاريخ أدبيات اللغة العربية (ج ٢ : ص ٢٥١) في ترجمة كشاجم
وينسب إليه كتاب البراة في علم الصيد ، منه نسخة خطية
في مكتبة غوطا . مما لا شك فيه الآن أن لكشاجم كتاباً اسمه
(المصايد والمطارد)

٢ - وقد ذكر صاحب هذا المخطوط في باب فضل اللحم
الصيد ما بأتى :

وأهديت إلى بعض إخوانى صيداً وكتبت إليه في عقب علة
كان فيها بهذه الآبيات :

أزال الله شكواك وأهدى لك أقواقا
خرجنا أمس للصيد وكنا فيه سُبُبا
فسمينا وأرسلنا على أسهل إطلاقا
فتساح الله بالرزق وكان الله رزاقا